والمدنية ، ولا خشية التاريخ وحكمه ، ولا حرصاً على العهد وتمسكا بالشرف ، فهذه لغة قد لا تفهمونها الآن ... ولكن اذكروه لمصلحتكم أنتم ، فإن نسيانه سيكلفكم من الضحايا عدداً لا تستطيعون تقديره ، وسيكون النصر أخيراً للحق والمدافعين عن حقوقهم وحرياتهم .

أيها الأسبان ! تذكروا أن الجشع الاستعماري الذي يسيطر عليكم ليس إلا عرضا من أعراض الكلب المادي الذي أصيبت به أوربا ، وأنكم إن لم تقضوا عليه فسيقضي عليكم ، وقد بدرت بوادر الشقاق والجنون النفعي الذي سيحطم أركان حضارتكم إن لم تنقذوا أنفسكم منه . تذكروا أن القدر قد يلقي عليكم درساً عاجلا في احترام الحقوق والحريات ، وأن هذا الدرس قد يكون على أيدي العرب ، أساتذتكم وأساتذة أوربا منذ عرفتم النور ؟

توفيق محمد الشاوي
مدرس بكلية الحقوق — جامعة فؤاد

على هامش « الحادث » :

دفاع عن الأدب

للأستاذ علي الطنطاوي

لقد كانت معركة (عين جالوت) مثلا ، أجل خطراً ، وأعظم أثراً ، وأبرك على الحضارة ، وأجدى على الإنسانية ، من موقعة (الحدث) ، ولكنها لم تجد الشاعر المارد الجبار الذي ينهض بها ، ويرفعها بيمينه يلوح بها في طريق التاريخ ، ليراها الناس أبداً ، أمة بعد أمة ، وجيلا عقب جيل ، كما صنع المتنبي بموقعة (الحدث) حين فتح لها في الشعر فتحاً ولا فتح سيف الدولة في بلاد الروم ، وبنى لها في البلاغة صرحاً ولا ما بناه الحداني (فأعلى والقنا يقرع القنا ، وموج المنايا حوله متلاطم) ، بنى هذا البيت وإنه لقلعة باقية ، على حين قد خرب الدهر تلك القلعة ، فكان من معجزات الشعر (وإن في الشعر لإعجازاً) أن خلدت هذه الموقعة ، وجلت وملأت الأسماع والأفواه والقلوب ، ونسيت مواقع أعظم منها ، ولولا قصيدة ابن الحسين ما عرفت طريق الخلود .

ولقد كان فتح عمورية عظيما في الفتوح ، ولكن فتح حبيب في بائيته أعظم منه . ومن قبل خلدت بلاغة هوميروس بطولة القوم في طروادة ، ولولاه لضاعت في ظلام ما قبل التاريخ . وإني لأكرم القراء أن أسيء بهم ظني فأرى بهم حاجة إلى سرد الأمثلة ، وإقامة البينات ، على أمر ما بهم جهله ولا نكرانه ، فلولا الأدب ما خلدت المكرمات ، ولا ذكرت البطولات . ورب قصيدة تجيش بها نفس شاعر منكر مجهول ، قد شغل الناس عنه سناء الأمير ورواؤه ، أبقى على الدهر من هذا السناء وهذا الرواء . وربما جاء زمان نسي الناس فيه الأمير نفسه ، فغاص في هذا النهر البشري الذي يجري أبداً من المهد إلى اللحد ، يولد أهله ويعيشون ويموتون ولا يدري بهم أحد ولا يذكرهم إنسان — ولم يمسه من الخلود إلا النفحة التي ينفحه بها الشاعر .

هذا حق لا يجهله أحد إلا ذوي السلطان منا ، وكانوا هم أولى بمعرفته والاستفادة منه ، والأحداث تدعوهم إلى ذلك ولكنهم لا يجيبون . وها هو ذا حادث الشام القريب ، أحبوا أن يدونوا تاريخه ، ويعرفوا صوره ، ويعرفوا به البعيد النائي ، ويذكروا به القريب الرائي ، فأجمعوا أمرهم على إخراج (الكتاب الأسود) في وصف هذا الحادث ، وسموا له رجالا ، طيبين ممتازين ، غير أنهم ليسوا من ذوي الأقلام ، ولا من الأدباء ، وإن في دمشق (لو كانوا يعلمون) أقلاما حداداً ، إذا انتضتها الحكومة قطت بها وقدت وفرت ، فإلام تدخر هذه الأقلام إن لم تنتل في هذا اليوم الأسود ؟ ومن يعرض على الدنيا كلها حديث (الحادث) إذا أهملت هذه الأقلام ، ونسيت وتركت نصلا في أغمادها ؟ أيعرضه صحفي بمقالة تعيش ما عاش (العدد) الذي تنشر فيه ، أم موظف بتقرير أسلوبه لمنة للبلاغة في عليائها ؟

ثم استلمنا الجيش وعرضه رئيسنا فكان يوماً أغرّ محجلاً في عمر الشام ، فمن يمسك هذا اليوم ألاّ يهوى في وادي النسيان ؟ من يحفظ له جلاله وجماله وعظمته غير الأدباء؟ فما لأولي الأمر دعوا له كل قاص ودان إلا أهل الأدب الحق ؟ أهل البلاغة ، ما دعوهم ولا سألوا عن مكانهم ولا ذكروهم ، ولو دعوا أديباً لصنع لهم عقالة واحدة شيئاً يبقى إذا ذهب كل هذا الذي أعدوه .

وفي كل يوم تنبت أقلام غضة فلا يتعهدها أحد بسقي ولا رعاية فتجف وتموت . وتحطم عواصف الأيام وأرزاؤها أقلاما متينة كأشجار السنديان طالما أظلت وبسقت فلا يبكي عليها أحد . وتزهر أقلام ثم تؤتي أكلها ثمراً ناضجا حلواً نافعا فلا يستبشر بها أحد ، ويقولون بعد ذلك لماذا لا ينتج الأدباء ؟ لماذا لا يخلدون أيام الوطن ؟ يا ويحكم ! إننا والله لا نعرف أيام الوطن إلا على السماع، والفضل لنا إذا استطعنا أن نكتب عنها سطراً واحداً .

قال لي أديب أعرفه بليغا مبينا له قلم ماضي السنان :

« لقد أردت أن أدخل القلعة غداة يوم الحادث ، وأن أجول خلال الحرائق ، وألج البرلمان ، فتمنعني جنود لا يعرفونني ولا يفهمون عني بلساني ، ولو تركت ألج ورأيت بعيني ما أصفه الآن على السماع لكتبت لكم شيئا يبكي الحب ليلة الوصال ، والعروس ليلة الزفاف ، ويرقق قلب الموتور ساعة الانتقام . ولو أشهدت هذا العرض لكتبت لكم قصيدة مجد تكون للأعصاب ناراً تشعلها حماسة ، وللقلوب خمراً تميلها طربا ، ولهذا الجيش جيشا آخر . ولو أحضرت حفلة رفع العلم على الكتلة الحيدية لكتبت غير ما كان نشر في الرسالة[1] ، لأن الذي يتخيل ويكتب بارد الدم هادىء الأعصاب ، غير الذي تمشي الكهرباء في أعصابه فتهزها هزاً ، فيمسك قلمه ويدع روحه تملي عليه .

ولست — علم الله — أريد مالا من أولي الأمر أو عطاء ، ولا أبتغي من مجالستهم شرفاً ، فعندي من المال مايسد حاجتي ، ومن الشرف ما يكفيني ، وإنما آسف على قوة في ، وفي أمثالي من حملة الأقلام ، تذهب هدراً ، وتضمحل ، والوطن يحتاج إليها ، وهي تستطيع أن تكسبه مجداً لا ينال غيرها » ... انتهى كلامه .

* * *

فيا أيها الحاكمون! اذكروا أنكم تحتاجون إلى الأدباء ليكسبوكم الخلود ، وليفيضوا على أمجادكم الحياة ، أما هم فلا يحتاجون إليكم ، لأنهم يستطيعون أن يخلقوا بأدبهم ملوكا وأبطالا ، وينشئوا عالماً ، ويقيموا لأنفسهم وللناس دنيا ، إن تكن من الوهم ، فرب وهم أفعل في نفس صاحبه من الحقيقة ، وأثبت من الواقع . ورب شخص (روائي) خرج من خيال أديب ، أحيا حياة ، وأظهر وجوداً من أشخاص اللحم والدم ، أسمعتم بعطيل ودون جوان وآرياجون ؟

وبعد فهذا دفاع عن الأدب ، لا عن الأدباء ، فاقبلوه أو لا تقبلوه ، إنما علينا أن نقول ، وقد قلنا .

علي الطنطاوي

(١) بعنوان (دموع ودموع) العدد ٦٣٤ .

ظهر حديثاً كتاب :

دفاع عن البلاغة

للأستاذ

احمد حسن الزيات

وقد زينت عليه فصول لم تنشر

يطلب من إدارة الرسالة ومن المكاتب الشهيرة

وثمنه ١٥ قرشاً